اديان الاوائل

ديانة الاشوريين والبابليين

يظهر مما عُرف من امر الاشوريين والبابليين الى الآن[1] انهم كانوا مشركين وكان عندهم الهان يحسبونهما في راس آلهتهم وهما اشور عند الاشوريين وإل عند البابليين ومنه اسم مدينتهم بابل اي باب إل او باب الاله . الاَّ ان الاشوريين كانوا يكثرون من ذكر الههم اشور ويعدونهُ حامية لهم ولملوكهم ويسمون انفسهم عبادهُ وشعبهُ ويقولون ان جنودهم جنودهُ واعداءهم اعداؤهُ وانهُ هو الذي ينصب ملوكهم ويوطد اركان ملكهم ويطيل ايامهم ويحمي حصونهم وجنودهم ويرشدهم في غزواتهم ويهبهم الظفر على اعدائهم ويعظم اسمهم ويكثر نسلهم ويثبت اولادهم في كراسيهم . وملوكهم يحسبون انفسهم خدامًا لهُ يفتحون البلدان لدعوة الناس الى دينهِ واذاعة عبادتهِ . ويقولون انهم باسمهِ يهاجمون اعداءهم ويخربون مدنهم ولذلك اقاموا رسمهُ في كل بلد فتحوهُ وسنوا سنتهُ على اهلهِ . وكانوا يلقبونهُ القابًا جليلة مثل السيد العظيم مالك كل الآلهة ويصورونهُ بصورة رجل متقلس بقلنسوة قرناء يحيط بهِ دائرة منخنة كما ترى في الشكل الاوَّل ويرمزون اليهِ بالدائرة المنخنة فقط وهي اشارة الى سرمديتهِ وحضورهِ في كل مكان كما ان صورة الانسان تشير الى تعقلهِ والقلنسوة القرناء الى قوتهِ . ويطرزون صورتهُ او صورة دائرتهِ المنخنة على حلل ملوكهم وينقشونها فوق تماثيلهم وفي خواتمهم ويتيمنون بها . ويتصرفون في صورتهِ حسب احوال ملوكهم وقت تصوير الصورة فان كان الملك غازيًا صوروهُ بصورة رجل مسدد قوسهُ تجاه اعداء الملك واذا كان راجعًا من الغزو وقوسهُ غير موترة صوروهُ مثلهُ واذا كان في السلم ولا قوس في يدهِ صوروهُ بلا قوس وهلمَّ جرًّا . واما البابليون فلم يذكروا إل الاَّ نادرًا ولم يتخذوا لهُ هيكلاً

الشكل الاوَّل

ويلي اشور وإل ثلاثة آلهة انو وبيل وايا وهم ملوك الاشوريين والبابليين الاوَّل[2] ويسمونهم

(١) كل ما كان يعرف من احوال الاشوريين والبابليين اخذ عن الثوراه وبعض الاقتباسات من كتب بيروسس الكاهن الكلداني الذي نشأ في زمن الاسكندر وترجم كتب بلاده الى اليونانية وبعض ما ورد في هيرودوتس وديودورس المؤرخين . ولكنَّ المعوَّل عليهِ في هذه المقالة هو الكتابات القديمة التي وجدت بين خرابات بابل واشور وعني اهل العلم بقراءتها وحل رموزها

(٢) كان المصريون يعتقدون بتثليث الالهة ايضًا فكانت هذه المدينة تعبد مثلثًا من آلهتها وتلك مثلثًا آخر وقد وهم البعض ان المسيحيين اخذوا عقيدة التثليث عن المصريين ولكن جمهور المحققين دفعوا اعتراضهم بان اعتقاد المصريين والاشوريين والبابليين في التثليث يختلف كل الاختلاف عن اعتقاد المسيحيين ولهم في ذلك اقوال سديدة اشهرها ما جاء بهِ موشيم ردًّا على كدورث . ولا يمكننا الخوض في هذه المسئلة هنا وجوابها عن موضوع جريدتنا . فمن اراد التوسع فعليهِ بمطالعة المطولات

الآلهة العظام ويقولون ان انو هو ملك العالم السفلي وسيد الارواح والشياطين . وبيلا ابو الآلهة والخالق والملك القدير وملك الآلهة وانهُ صنع الارض والسماء وخلق الانسان من دمهِ ومن تراب الارض وصنع الحيوانات ثم خلق الشمس والقمر والنجوم والسيارة الخمسة . ومعنى اسمهِ بالاشورية رب ولذلك كانوا يلقبونهُ برب العالم ورب كل البلدان المخترع العظيم وملك الهمق وملك الانهار ورب الينابيع ورب الحصاد

ويتلو هذا المثلث مثلث آخر وهو الاله سن (اي القمر او اله القمر) والاله شمش (اي الشمس او اله الشمس) والاله اداد اوفل اوم (اي اله الهواء) فسن هو ملك الالهة واله الالهة ورئيس الالهة والمنير والمشرق والساكن في السموات المقدسة والدائر حول السموات ورب الشهر ومقوي الحصون ورب البناء وهو المعبود يو اسم سخاريب فانهُ بالكلدانية سن اخي اريب اي سن كثير الاخوة وصورتهُ في الشكل الثاني . وشمش مؤسس السماء والارض وقاضي السماء والارض والحاكم في كل الاشياء ورب النار ونور الآلهة والمتسلط على النهار والمنير عنان السماء والارض والمتسلط السامي الذي يرقب غزوات الملوك بعين الرضى ويذهب مع جنودهم ويعينهم على توسيع ملكهم وطرد اعدائهم ويردهم الى بلادهم ظافرين ويساعدهم ايام السلم على حمل الصولجان وسياسة الرعية . وقُل خادم السماء والارض ورب الهواء المهيج العواصف المستاصل الاشجار

الشكل الثاني

وينسبون اليهِ الجوع والقحط والوباء ويقولون ان بيدهِ سيفًا ملهبًا ذا ثلاثة نصال كما ترى في الشكل الثالث وهو صورتهُ ويعتقدون انهُ اله المطر والخصب والري

ويلي هولاء الآلهة ست الهات زوجات لآلهة المثلثين الستة . والظاهر ان كل الهتهم متزوجون الا اشور وايل

ويتلو هولاء الآلهة وزوجاتهم خمسة آلهة وهم نن ومردوخ ونرغال واشتار ونبو . فنن هو السيار رُحل او اله زحل ويلقبونهُ بالجبار والمحارب والظافر وقاهر العصاة والرب القدير ويعتقدون ان لهُ التسلط على الحرب والصيد ويستغيثهُ ملوكهم في قهر الخارجين عليهم ويصورونهُ بصورة ثور لهُ راس انسان وجناحا طائر ويعظمهُ الاشوريون اكثر من البابليين

الشكل الثالث

ومردوخ هو المشتري ويعظمهُ البابليون ويجعلونهُ في عداد المثلث الاوّل ويلقبونهُ بالرب العظيم والملك وملك الآلهة والاله المجيد والقاضي والقديم وقاضي الآلهة وبكر السماء ورب الحروب وملك السماء ورب الابدية العظيم ورب الكائنات ورئيس الآلهة واله الآلهة ونرغال هو المريخ ويقولون انهُ اله الحرب والصيد ويلقبونهُ بالرجل العظيم والبطل العظيم

وملك الحرب والهلك وجبار الآلهة واله الصيد . ويصورونهُ بصورة اسد له راس انسان وجناحا طائر كما ترى في الشكل الرابع وينصبون تمثالهُ على ابواب قصورهم

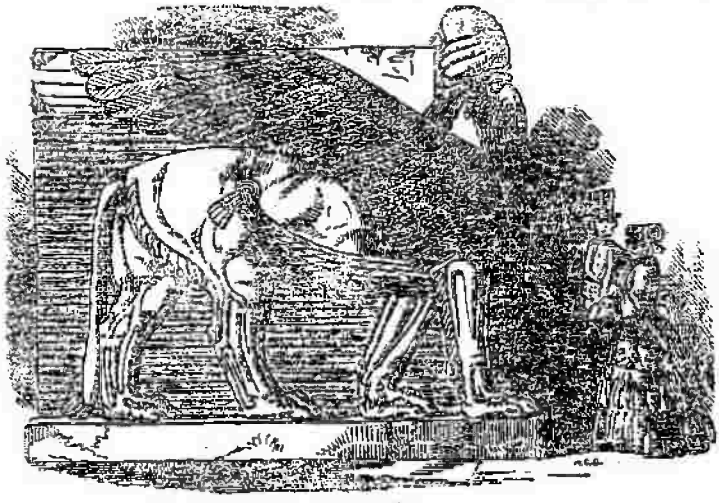

الشكل الرابع

واشتار في الزهرة ويقولون انها ملكة الحب والجمال ويعبدونها عبادة فاحشة كما كانت تعبد الزهرة عند النينيتيين واليونان والرومان ولكنهم يحسبونها ايضًا الهة الحرب والقتال ويقرنونها مع اشور عند وصف غزواتهم ونصراتهم ويقولون انها رئيسة السماء وملكة الآلهة والالهات

ونبو هو عطارد ويقولون انهُ اله الحكمة والفهم والتعليم ورسول الآلهة وكثيرًا ما لقبوهُ برب الارباب الذي لا مثيل لهُ في القدرة حارس السموات والارض الذي يسلم الملوك صولجان الملك الى غير ذلك من الالقاب التي لو اختصت بهِ لقطعنا انهُ الاول بين آلهتهم . وكان لهم آلهة والهات اخرى يضيق المقام عن ذكرها وفي ما مرَّ الكفاية لمعرفة معتقدهم في آلهتهم (٣)

وكانوا يصنعون لهذه الآلهة اصنامًا من الحجارة والمعادن بدن الصنم منها في الغالب بدن حيوان ورأسهُ راس انسان ولهُ جناحا طائر وتلوح عليها كلها هيئة المهابة والوقار وكانوا يعبدونها في معابد ذات صوامع عالية (٤) يصعد اليها على درج حولها من الخارج ويصلون اليها وينشدون القصائد ويذبحون الذبائح ويقرّبون القرابين . ومن صلواتهم قول بعضهم "يا رب خطاياي

(٣) ان كل ما ذكرناهُ من اسماء هذه الآلهة والالهات والقابها ونعوتها منقول عن الكتابات الاشورية ولم ترد فيها متفرقة كما نسردها بل مفرقة في صفائح كثيرة والفضل في نسقها هذا للقانون رولنصن الذي اعتمدنا عليهِ في هذه المقالة

(٤) من امثلتها برج نمرود في بورسبا

كثيرة وذنوبي عظيمة وغضب الآلهة قد ابتلاني بالمرض والوجع والحزن . أعييتُ ولم يجد احدٌ يده الى معونتي التفتُّ ولم يدنُ احدٌ مني . ناديتُ باعلى صوتي وما من مجيب . يا رب لا تترك عبدك . في مياه الغاصف العظيم امسك يده وحوّل آثامه الى بر". ومن تراتيلهم قول بعضهم "ايتها الدار الربة العظيمة المتعالية فوق كل الارض . . . . انتِ سائكة النحاس والرصاص انتِ مخصصة الفضة والذهب" وكانوا يضحون الضحايا من الثيران والعجول والغنم والغزلان ويقرّبون القرابين من كل نوع ويقومون بهذه الفرائض كل يوم من ايام السنة لان كل يوم كان عيدًا لالهٍ او اكثر من آلهتهم

وكانوا يعتقدون بالآخرة وثواب الصالحين وعقاب الطالحين ويصلون على موتاهم ومن ذلك قولهم في الصلاة على ميت . "ليعطِ شمش الحياة وليمنحهُ مرودخ مقامًا في السعادة". وايضًا "ليكن مرتقاهُ الى شمش الى كبير الآلهة وليقبل شمش كبير الآلهة نفسهُ في يديهِ الطاهرتين" . وعندهم ان نفس الابرار تلبس حلة بيضاء منيرة وتسكن في مساكن الآلهة وتاكل من الطعام السماوي ونفس الاشرار تحدر الى الهاوية مكان الظلمة والجوع حيث تاكل التراب وتغتذي بالطين ولا ترى النور . ومع هذا فامر الآخرة لم يكن جليًّا عندهم كما كان عند المصريين ولم تُذكر الآخرة كثيرًا في كتاباتهم كما ذكرت في كتابات المصريين

ومن اشهر معتقداتهم بل قصصهم الدينية قصة الحرب السماوية والخليقة والطوفان اما قصة الحرب السماوية فمفادها انهُ في قديم الزمان قبل ان خلق العالم عصى سبعة من الارواح على انو الاله العظيم وهاجمتهُ في السماء فصدّها القمر والشمس وقتل اله الهواء وقهروها واخذوا قتلها . ثم حدث بعد زمان طويل انهُ فيما كانت جنود السماء وعددها خمسة آلاف تغني اغاني الحمد لانو انفرد جند منهم واخذ يهزأ بالاله العظيم ويجدف عليهِ وطلب من اشور ان يكون لهُ زعيمًا فابى فاقام هذا الجند عليهِ زعيمًا آخر واتخذ الزعيم صورة تنين وتصادم هو والاله بيل فتغلب بيل عليهِ ورماهُ بصاعقة اصابت فمهُ فقتلهُ وطرد جنودهُ الاشرار الى مقام ارواح الشر السبعة المار ذكرها وحكم عليها أن تبقى هناك الى الابد ثم خلق الانسان مكانها

اما قصة الخليقة فملخّصها على ما رواهُ بيروسُس المؤرخ انهُ في البدء لم يكن سوى الظلمة والماء ثم تولّدت حيوانات هائلة ورجال ذوو اجنحة ولبعضهم راسان راس رجل وراس امرأة على بدن واحد ولبعضهم رؤوس كرؤوس المعزى وقرون كقرونها او حوافر كالخيل او بدن انسان وفرس معًا كصورة الرامي من بروج السماء . وكان من الحيوانات ثيران ذات رؤوس كرؤوس الناس وكلاب للكلب منها اربعة ابدان واذناب كاذناب السمك الى غير ذلك مما يطول شرحهُ . وكانت

هذه الخلائق خاضعة لامرأة اسمها أُمْرِكا وبالكلدانية ثالاث وباليونانية ثالاسا (اي البحر) . ثم ظهر بيل وشطر المرأة شطرين وصنع من شطرها الواحد السماء ومن الثاني الارض وفصل بين السماء والارض ورتب العالم فهلك كل الحيوانات التي لا تطيق النور . ولما رأى الارض خاوية وهي ممتلئة من قوة التوليد امر الآلهة ان يقطع راسه ويجبل التراب بدمه ويصنع منه الناس والوحوش التي تطيق النور فصنع الانسان وكان عاقلاً لانه اشترك بالحكمة الالهية . ثم صنع النجوم والشمس والقمر والسيارة . انتهت رواية بيروسس . واما قصة الخليقة التي كُشِفت بين الآثار فتخالف رواية بيروسس من وجوهٍ كثيرة وهي هذه " قبل ان دُعيت الاعالي سماء والاسافل ارضاً وقبل ان فتحت الهاوية ذراعيها وَلَدَ المنه كل شيء واجتمعت المياه الى مكانٍ واحد . وقبل ان سكن الناس معاً وقبل ان سامت الحيوانات وقبل ان وُلدت الآلهة وقبل ان تُطلق باسمائها وعينت اوصافها وُلد الالهان لخمو ولخامو وُلدا وشبّا . . . . . واقام (ابو على ما يظن) مساكن للآلهة العظام واثبت مجاميع النجوم التي يصور الحيوانات وقسم السنة الى اقسام وعيّن فيها اثني عشر شهراً وابراجها ثلاثة ثلاثة وعين الاعياد من بين ايام السنة منازل للسيارة لشروقها وغروبها ووضع بينها منازل بيل وابا لكي لا تختل ولا تقف وفتح ابواباً عظيمة في كل جانب ومكّن الاغلاق على اليسار وعلى اليمين ووضع الانوار في الوسط وجعل القمر يدور ليلاً يسير حتى الفجر ويجمع كل شهر الجماعات المعينة ويرفع قرنيه في غرة الشهر عند قدوم الليل لينير السماء . وجعل اليوم السابع يوماً مقدساً وامر بالانقطاع قيد عن العمل واقرّ الشمس في مقرها في افق السماء . انتهى .

خبرُ الطوفان البابليّ

طالما لهج الكتّاب بخبر الطوفان البابلي الذي نقله يوسيبيوس (المتوفى سنة ٣٤٠ للميلاد) عن اسكندر بوليهستر (الذي اسرهُ الرومان سنة ٨٦ قبل الميلاد) ونقله اسكندر بوليهستر عن بيروسس المؤرخ الكلداني الذي كان معاصراً للاسكندر المكدوني . ولبثوا يحسبونهُ منقولاً عن اليهود الذين جلوا الى بابل حتى عثر الدكتور جورج سمث منذ نحو عشرة اعوام على صفيحة من صفائح الاجرّ الاشورية يقال فيها ما ترجمتهُ "ان السفينة وقفت على جبل نِزِر فاخرجتُ حمامةً واطلقتها فطارت الحمامة مترددةً ولم يكن مقر لرجليها فعادت الى السفينة". فثبت له انهُ يقرأ خبر الطوفان البابلي فاخذ من ساعتهِ يقلّب الصفائح الكثيرة التي في المتحف البريطاني فوجد ان خبر الطوفان قطعة من رواية شعرية طويلة تنطوي على اثني عشر فصلاً ونحو ثلاثة آلاف بيت ومضمون هذه الرواية ان مدينة اراك وهي قصبة بلاد بابل الجنوبية كان يحكمها ملك اسمهُ دموزي